الصوفية
تاريخ النشأة ومعنى المفهوم

د.سالم عيبلو
جامعة مصراتة /كلية الآداب
s.aiblu@art.misuratau.edu.ly

الملخص

لقد اختلفت وجهات النظر في الحكم على ظاهرة التصوف، فمن الباحثين من عدّ التصوف ظاهرة اجتماعية،ومنهم من اعتبره ظاهرة سيكلوجية نفسية، ومنهم من رأى أنه ظاهرة فنّية، وكثيراعتبروه ظاهرة فلسفية.

وهذه الدراسة توسّلت بمجموع مقاربات لغوية وتاريخية، فألقت الضوء على المصطلح في اللغة العربية،ثم ناقشت الآراء التي تتعلق بمصادر الظاهرة في الإسلام،وذكرت شيئا من خصائص التصوف الإسلامي ،وكيف تأثر بالأفكار الوافدة.

وهذه الدراسة تعد مدخلا لمبحث آخر هو بعنوان التربية عند الصوفي الهدف المنشود والأدوات المستخدمة.

Abstract

In judging the phenomenon of Sufism, the views varied. Some researchers considered Sufism as asocial phenome ،others considered it as a psychological phenomenon, and a third group saw it as a technicalphenomenon. Still, the majority dealt with Sufism as a philosophical phenomenon.

In this research, the researcher used a range of linguistic and historical approaches in order to highlight the term of Sufism in Arabic language.Moreover, a number of views relating to the Sufism sources that appear in Islam were discussed and some of the characteristics of Islamic mysticism and how they were influenced by the ideas that came later.

This study is an introduction to another subject, entitled “Education for The Mystic: Target and Tools”

مقدمة:

في مجال الحكمة الإسلامية ،أو كما يحلو للبعض أن يطلق عليه اسم (الفلسفة الإسلامية) بدوائره الثلاث علم الكلام ، والتصوف ، والفلسفة الخالصة، نستطيع القول: إن كل واحد من هذه المجالات مرّ بتاريخ يخصه ،تشكل فيه مبحثا علميا، له موضوعاته الخاصة،و له أتباعه الذين دافعوا عنه، وأسسوا مبادئه ، ووضعوا نظرياته، وشكلوا مدارسه.

والحق أن هذه المجالات استثارت همم الدارسين قديما ،فلم يكن الواحد منها ينشأ حتى ينمو ويتزايد، تختلف فيه الآراء، وتكثر فيه المذاهب والمدارس ،وكُتب في كل مجال منها مختصرات ومطولات .

ثم جاء آخرون همهم المعرفة وهدفهم الحقائق ، فبحثوا عن أصولها ، وقاموا بدرسها حسب الظروف والإمكانيات ، فرتبوا ما صنف فيها، وقيّموه ، ومن جملة الظواهر التي تناولوها ظاهرة التصوف، تناولوها من زوايا عدة،فمنهم من درس التصوف على أنه ظاهرة اجتماعية، ومنهم من درسه على أنه ظاهرة سيكلوجية نفسية ، ومنهم من رأى أنه ظاهرة فنية، وآخرون اعتبروه ظاهرة فلسفية ،لأن أربابه ناقشوا في بعض كتبهم مسائل تعد من صميم الدراسات الفلسفية .

وقد أولى بعض الباحثين ظاهرة التصوف اهتماما خاصا ، وبغية التأصيل ، ومن أجل الوصول إلى نتائج مقنعة درسوا التصوف معتمدين على تحليل مصطلحاته وتعبيراته ، فاهتموا اهتماما خاصا بما كتبه المتصوفة أنفسهم ، وبما كتب عنهم، فعالجوا ودرسوا الكثير من المسائل، ومن هذه المدارس مدرسة اهتمت بالاصطلاحات، ودلالاتها وأصولها التي جاءت منها ،وهذه نشطت و اشتهرت في ألمانيا ، ومن أكبر ممثليها الباحث الكبير نولدكه الألماني . حلمي 2011،ص،11.

ومن المدارس من درس الظاهرة ، ظاهرة التصوف الإسلامي على أنها ظاهرة من الظواهر الصوفية العامة ،وهذه المدرسة انجليزية، ومن أكبر روادها برتون ،ونيكلسون وآبري . المصدر السابق ص 16.

ومن المدارس أيضا من اهتم بالجانب الروحي ، وهم متأثرون بالجانب الروحي الذي يغلب على الديانة المسيحية،وهذه المدرسة اشتهرت في فرنسا ومن أعلامها `الفرنسيان لويس ما سنيون ،وهنري كوربان. حلمي 2011،ص16.

ومن المدارس التي درست الظاهرة مدرسة حاولت أن تجد جذورا مسيحية للتصوف الإسلامي ،وهذه مدرسة توصف وتؤطر بأنها مدرسة كاثوليكية خالصة ، نشطت في أسبانيا، وكان من أعلامها أسين بلاسيوس وكان من بين مؤلفاته : كتاب ابن عربي 1، وهو أيضا صاحب دراسة الأثر الإسلامي للكوميديا الإلهية لدانتي2 .

وقد كوّنت دراسات المستشرقين – بغض النظر عما وُصف به أصحابها من تعصب، وبغض النظر عن استقبالها بشيء من الإعجاب أو الاتهام و الشك – ردّات فعل مختلفة وبخاصة عند القرّاء العرب، فكانت نتائج المراجعة أحيانا متفقة ،وأحيانا مخالفة ومناقضة لما توصل إليه بعض المستشرقين، وأسس بعض منها موقفا وسطا جاء بين المتهمين للتصوف بأنه بدعة وخروج عن الدين، ومنهم من قال: إن مصادر التصوف كلها مستعارة من أديان أخرى، وأنه لا أساس لها في الإسلام ولم تصدر عنه. حلميّ 2011، ص 17.

ومن الباحثين من رأى أنه أصيل في الإسلام ،و يمثل الجانب الروحي ، ورأت هذه الفرقة أن التصوف تجسيد لمقام الإحسان في الإسلام كما حاول تأكيد ذلك بعض المتصوفة في القديم انطلاقا من حديث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم : (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك). صحيح مسلم ،وانظر حلمي 2011 ، ص 28.

وإن لم تكن دراسة الصوفية ومنذ فترة حكرا على المستشرقين، لكنها هي التي عبّدت الطريق إليها، إذ ساعدتهم ظروفهم الاقتصادية والإمكانات العملية و العلمية ، فجاءت الدراسات العربية لاحقة متأثرة بما تحقق في الدرس الاستشراقي للتصوف . فنشأ في رحاب هذه

[1] ابن عربي : محي الدين، شهر بلقب الشيخ الآكبر ،وهو قدوة الفائلين بوحدة الوجود،توفي سنة 638 هجرية 1420 ميلادية. له أكثر من أربعمائة كتاب ،وله شعر أكثره في التصوف، الأعلام،ج 6 ص: 261.

[2] الكوميديا الإلهية ملحمة شعرية لدانتي الايطالي تتكون من ثلاثة أقسام ، سماها : الجحيم ، والمطهر والجنة ، وفيها تخيل عالما فيه الخير والشر، وجعل الإنسان فيها هو سبب الشر .

المجالات ومن هذه المحاورات والمناقشات أدب كثير ،واشتهرت آراء متعددة متفقة متصلة ومتناقضة مختلفة إلى حد يصعب التوفيق بينها . وفي هذا المبحث سنعيد القول في الكلام عن الصوفية باعتبارها ظاهرة روحية، ونعيد بعضا مما قيل مما نرى أن في إعادته وتجديد العهد به إفادة، ونضيف من الآراء ما نرى أنه جدير بأن يضاف فيعرف ويستفاد به ويوظف ،وكل ذلك رغبة منا في إحياء الكلام في هذا المجال، مجال التصوف، والذي يرى الباحثون أنه وقع ضحية بين عدة أطراف :

أحدها معارض منفر للحركة الصوفية الروحية وهم أيضا تختلف مواقفهم وتتفق :فمنهم من ينزع عن التصوف كل صبغة إسلامية، ويرى أن مصادره مصادر مسيحية أوهندية أويونانية .و منهم من وقف موقفا معاديا من ظاهرة التصوف وأصحابها ، ورأى أن التصوف بدعة في الدين، ووصفوا التصوف بأنه حركة انهزامية، وحملوا التصوف ذنوبا لا قبل له بها ، و طرف آخر مدافع عنه يرى أن التصوف هو الوسيلة الصادقة للمعرفة الحقة ، ويرى أن التصوف هو الجزء الأهم الغائب أو الخفي من الدين، والذي يجب إحياؤه وتنبيه الناس إليه والعمل على توجيه الأفكار نحوه لدراسته وإعادة القول فيه. عبد الحليم محمود ،بدون تأريخ ص 324.

ونحن في هذا البحث سنعرض لعدة مسائل نعرضها ونذكر اختلاف الناس حولها، ومن المسائل التي سندرسها ونعيد القول فيها، أولا : مفهوم المصطلح (الصوفية) والآراء في أصله الذي اشتق منه ، ومن ثم نعرض لمصادر الصوفية ومنابعها التي جادت بها، ثم نعرّج على أشياء من مفاهيم المتصوفة وشيء من اعتقاداتهم واقتناعاتهم، ونشير إلى بعض من خصائص ظاهرة التصوف . وأود أن أنبه القارئ الكريم إلى أن هذا البحث هو حلقة أولى ومدخل لبحث آخر يجري الإعداد لإخراجه بعنوان "التربية عند الصوفي المنهج والأهداف. والله نسأل التوفيق والسداد.

الصّوفيـّة والصّـوفي:

الصوفية كلمة اشتهرت، فما من باحث بالعربية إلا ويعرف أنها تدل على أصحاب منهج الزهد والتصوف في الإسلام ، ولكن العلماء اختلفوا في مصدر الكلمة، وسبب التسمية ،كما

اختلفوا في مصدر الظاهرة والحكم على أصحابها وطقوسها اختلافا واضحا ،ولم يتّفقوا على رأي في تحديد طريقة التسمية ، ولا في الاصطلاح حتى قال أحدهم : وقد تكلم الناس في تحقيق هذا الاسم كثيرا وألفوا كتبا في ذلك .السهروردي[1] ، ص 40.

ورأى بعضهم وهو يستخدم مقاربة لغوية سهلة واضحة وأكثر انسجاما من غيرها وألصق بمنطق اللغة والتصريف اللغوي أن الصوفيُ سمي كذلك لأنه يلبس الثياب المصنوعة من الصوف. ويبدو أن لبس الصوف كان علامة على التقشف والزهد وهي صفة التزم بها من يُعرفون بقوة الإيمان والزهد في الدنيا من صحابة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. ظهير،1987،ص 23،27.

ويرى بعض الباحثين أن لبس الصوف كان رمزا عالميا وذلك حين اتخذه بعض الزهاد وسيلة للعزوف عن الدنيا ،وتعويد النفس على الخشونة ،واختيارهم له ربما كان لقلة كلفته وليس فيه بريق كذلك البريق الذي يوجد في الحرير والقطن وسائر المنسوجات ، أو لأنه سهل الاقتناء،سهل الصناعة.

قال السراج الطوسي 2 :المتوفى سنة 378 في كتابه الموسوم باللّمع : (نسبوا إلى ظاهر اللباس، ولم ينسبوا إلى نوع من أنواع العلم والأحوال التي هم بها مترسمون ، لأن لباس الصوف كان دأب الأنبياء والصديقين وشعار المساكين المتنسكين والأتقياء والصالحين، وفيه خشونة تدل على الزهد. والإضافة لأدنى مناسبة ، فلا يضير أن يقال لم اقتصروا في تسميتهم على نسبتهم إلى الصوف؟) الطوسي، طباعة ، 2011، ص،24.

وقال السراج الطوسي أيضا (لقد ذكر الله طائفة من أصحاب عيسى عليه السلام فنسبهم إلى ظاهر ملابسهم) يقصد قوله تعالى (إذ قال الحواريون) سورة المائدة آية: 112. وكانوا قوما يلبسون البياض ، فنسبهم الله إلى ذلك . والأدب القصصي ،والأخبار الكثيرة التي أكدت قصر

[1] السهراوردي : عمر بن محمد، من كبار الصوفيية له كتب كثيرة منها عوارف المعارف توفي سنة 632هجرية ، الموافق 1234 ميلادية.

[2] السراج الطوسي هو عبد الله بن علي بن محمد بن يحيى، أبو نصر السّرّاج الطُّوسي الصُّوفي، المتوفى: 378 هـوهو مصنّف كتاب اللمع في التصوف. والكتاب مطبوع محقق انظر تاريخ الإسلام ج 26 ص 226.

لباس الصوف على الأنبياء والصالحين أكثر من أن تحصى فصار والحالة هذه لبس الصوف رمزا عالميا للتقشف والزهد . الطوسي ،2011،ص، 26.

وقال بعض المهتمين : أسموهم كذلك لأنهم من أهل الصف الأول ، ولكنّ اللغة والاشتقاق لا يساعدانهم كثيرا هنا. وقالت طائفة : أسموهم كذلك لأنهم يُشبهون أهل الصُفة، وأهل الصُفة هم الفقراء من أتباع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، القشيري، طباعة 2007 ص، 151.

وقد قالوا في أوصافهم : أنهم كانوا فقراء لا يكاد أحدهم يجد ما يستر به كل بدنه، والفقر نقطة تلاق بينهم مع وجود الفارق، فالفقر عند هؤلاء حالة أملتها عليهم ظروف العيش، ولا اختيار لهم فيها ، وعند الصوفية يكون الزهد اختيارا عن وعيّ وبصيرة . وذهب آخرون وهم يبحثون عن معنى نبيل لمنهج ألفُوه وطريقة أحبوها إلى القول بأنه من الصفاء، قالوا: سمو بذلك لصفاء أسرارهم ونقاء آثارهم .

ورأى البيروني المتوفى سنة 444 هجرية الموافق 1048 ميلادية ، أن يجعل الكلمة دخيلة على العربية وليست منها قال : وإنما هي كلمة (سوفيا) اليونانية، فعربت والكلمة في أصلها اليوناني تعني الحكمة . لجيلاني ط 2009 ص 36

وهذا الاختلاف الكبير، يدل على اهتمام الناس بالظاهرة الطريقة ، وأنهم كانوا يحاولون استيعاب الآراء المحتملة أصلا لدلالة الكلمة ، والحق إن نسبتهم إلى لبس الصوف، تساعد عليه اللغة من جهة وواقع أكثرهم من جهة أخرى ، وهي منسجمة أيضا مع حالهم وأسلوب عيشهم، وفلسفة حياتهم، وكون الصوف لبس الفقراء والزاهدين ومن تشبه بهم علامةٌ معروف ، كما يلاحظ في دنيا الناس اليوم ، أن لبس الممزق من الثياب وعدم الاهتمام بالمنظر صار شكلا من أشكال الرفض للأنظمة الاستهلاكية السائدة وتعبيرا عن مؤازرة الفقراء والمحتاجين من الناس.

وبعض من تكلم عن التسمية وأصلها، حاول أن يضفي عليها بعدا رمزيا، فالصوف يدل على الزهد ،والتقشف، وهم أصحاب أحوال وطبقات قالوا: (فلما صعبت الإحاطة بهم ومعرفتهم، نسبوا إلى ظاهر لباسهم، وقيل: نسبوا للصوف لأنهم آثروا الذبول والخمول والتواضع والانكسار والتخفي والتواري) . الجيلاني سر الأسرار ص 28.

يقول الشيخ عبد الواحد يحي[1] : (أما أصل الكلمة (صوفي) فقد اختلف فيها اختلافا كبيرا ووضعت فروض متعددة وليس بعضها أولى من بعض وكلها غير مقبولة)، ثم يقول: (وهي في الحقيقة تسمية رمزية ، قال وإذا أردنا تفسيرها لزمنا الرجوع إلى القيمة العددية لحروفها) ثم قال: (إنه لمن الرائع أن نلاحظ أن القيمة العددية لحروف صوفي تماثل القيمة العددية لحروف (الحكمة الإلهية) ،(إنها العارف بالله إذ إن الله لا يعرف إلا به ،وتلك هي الدرجة العظمى الكلية) . الجيلاني، ص30

وقول الشيخ عبد الواحد عن الآراء السابقة إنها : (كلها غير مقبولة)، هو مبالغة منه كبيرة ،وهو تصريح يهيئ به الأذهان لتقبل رأيه .ولكن الأقوال الأخرى هي أيضا منطقية، وقد اكتسبت مبرر وجودها في كون معناها يصح أو تشهد لها اللغة ،وهي صادرة ممن لهم المنتهى وعليهم المعول، فلا عبرة بقول من ضعفها.

وعقب الدكتور عبد العليم محمود على رأي الشيخ عبد الواحد يحي ، وذلك حين رأى التكلف في الربط، وفي الدليل فقال : (لقد انفرد الشيخ عبد الواحد يحي فيما نعلم بهذا الرأي،وهو رأي لا يمكن أن ينقض بالأدلة المنطقية ،ولكنه لا يمكن أن يثبت أيضا بالأدلة المنطقية ،يستسيغه قوم دون برهان ،وينفرد به آخرون من غير ما حجة) . الجيلاني ، ج35، 36. .وكان القشيري[2] المتوفى سنة 465 هجرية قد عقد بابا في رسالته أسماه التصوّف ، فذكر فيه آراء لكثيرين، وكانت مقاربته لغوية فأوضح أن كثيرا من الأقوال التي قيلت لا تساعد عليها اللغة، ولا الاشتقاق .القشيري طباعة 2007، ص،152. و رأى القشيري أن الأظهر في اسم الصوفية : (إنه كاللّقب ،لأن هذه الطائفة أشهر من أن يحتاج في تعيينهم إلى قياس لفظ ،واستحقاق اشتقاق) القشيري طبعة 2007ص 152 ، ثم ذكر أقوالا كثيرة للمنتمين إلى

[1] هو رينيه جينو فرنسي أسلم وتسمى بعبد الواحد ،عاش آخر حياته في مصر وتوفي بها سنة 1951 . انظر كتاب المدرسة الشاذلية الحديثة ،عبد العليم محمود، ص 229، 257.

[2] القشيري : عبد الكريم بن هوزان له الرسالة القشيرية، ولطائف الإشارات تفسير، توفي سنة 465 الموافق 1072 . الأعلام ج 4 ، ص 57.

التصوّف، وهي لا تقتصر على المعنى اللغوي ، فاستغرقت صفحتن كاملتين من رسالته . . القشيري طبعة 2007 ص 152.

أما الشيخ عبد القاهر الجيلاني[1] المتوفى سنة 561 هجرية ، فقد تناول الكلمة بالدراسة فذكر في كتابه سر الإسرار احتمالات التسمية فقال : (ولم يسم أهل التصوف إلا لتصفية باطنهم بنور المعرفة والتوحيد ، أو لأنهم انتسبوا لأصحاب الصفة، أو للبسهم الصوف ، للمبتدئ صوف الغنم، وللمتوسط صوف المعز، وللمنتهي صوف المرعز[2]، وهو الصوف المربّع). قال: (وكذا حالهم في الباطن على حسب مراتب أحوالهم) . ثم ذكر قول بعضهم : (يليق بأهل الزهد كل خشن من الملبس والمطعم والمشرب، ويليق بأهل المعرفة كل لين منها ،فإن إنزال الناس في منازلهم من السنة كي لا يتعدى أحد طوره ، أو لأنهم في الصف الأول في الحضرة الأحدية) . الجيلاني طبعة ...ص ، 109.

وكان الشيخ عبد القادر الجيلاني قد جنح أيضا لتفسير رمزي لكلمة (تصوف) فخص كل حرف من حروفها الأربع بدلالة خاصة : فالتاء من التوبة ، وهي توبة الظاهر وتوبة الباطن ، والصاد من الصفاء . وهو نوعان صفاء القلب وصفاء السر،والواو من الولاية ،والفاء هو الفناء في الله . الجيلاني ص 111.

أما صاحب كتاب عوارف المعارف الإمام شهاب الدين السّهروردي، والمتوفي سنة 632 هجرية 1234 ميلادية، فقد خصص الباب السادس من كتابه في ذكر تسميتهم بهذا الاسم (الصوفية) وبدأ حديثه مستأنسا بحديث لخادم الرسول أنس بن مالك قال فيه: إن رسول الله عليه الصلاة والسلام، كان يجيب دعوة العبد ،ويركب الحمار ،ويلبس الصوف. قال: (فمن هذا الوجه ذهب قوم إلى أنهم سموا صوفية نسبة لهم إلى ظاهر اللبسة لأنهم اختاروا لبس الصوف لكونه أرفق، ولكونه لباس الأنبياء عليهم السلام ،ولأنه أي لبس الصوف كان لباس المتقدمين من سلفهم) السهروردي ص41.

[1] الجيلاني : عبد القادر ،مؤسس الطريقة القادرية، من كبار الزهاد ،له مؤلفات كثيرة ،منها سر الآسرار ،توفي سنة 561 الموافق 1166، . الأعلام ج: 4 ،ص :47.

[2] المرعز هو الزغب الذي هو تحت شعر العنز ،وقد يراد به اللّين من الصوف .

ثم استأنس بأحاديث أخرى ،وبكلام لمن ينتسبون للصوفية ، ثم ذكر أراء أخرى في سبب التسمية وتسميات أخرى لهم غير مشهورة ، فذكر أن جماعة منهم كانوا في خراسان يؤون إلى الكهوف ، والمغارات ،ويتركون المنازل سمّاهم أهل خرسان شكفتية قال صاحب عوارف المعارف لأن (شكفت) اسم الغار، ينسبونهم إلى المأوى والمستقر.

قال: وأهل الشام يسمونهم جوعيّة ، قال والله تعالى ذكر طوائف الخير والصلاح في القرآن فسمى قوما أبرارا وآخرين مقربين ، ومنهم الصابرون ، والصادقون ، والذاكرون، والمحبون ، ثم ختم فكرته بقوله إن اسم الصوفي مشتمل على جميع المتفرق في هذه الأسماء المذكورة، ثم بين منحا تاريخيا لظهور الكلمة ، فقال إن هذا الاسم لم يكن في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم. قال: وقيل كان في زمن التابعين ،ونقل كلاما للحسن البصري استخدمه دليلا على وجود المصطلح في تلك الفترة وفيه تصريح للبصري بأنه رأى صوفيا في الطواف ، فأعطاه شيئا فلم يأخذه. السهروردي ص ،43.

ثم حاول أن يعزوا ظهور هذه الطائفة كردة فعل على ما فشى في الآمة من صراع سياسي، وعزوف عن الدين، وتكالب على الدنيا . السهروردي ص44.

واعتمد ابن خلدون[1] في مقدمته حين تناول التصوف على القشيري فنقل كلامه موافقا له. ابن خلدون، ص 281. .ويتضح من هذا، أن الظاهرة شغلت الناس ،وأنهم راحوا يبحثون عن تعليل للتسمية بغية التأصيل للظاهرة ،وأن الأقوال لم تخل من نقد ولا اعتراض .

وهذا مادعا إليه الدكتور محمد مصطفى حلمي في كتابه الحياة الروحية في الإسلام ، إلى تناول تاريخ ظهور كلمة صوفي وأصولها .فذكر رأي من قال : إنه لفظ معروف في الجاهلية ، و رأي من قال أنه مستحدث بعد عهد الصحابة ، كما ذكر الاختلاف في مصدرها والأصل الذي ترد إليه الكلمة، فذكر آراء من قالو ا: إنه من الصفاء أو الصفو أو الصّف ومن الصّفة ، أو من الصوفانة، وهي نبات عشبي له زغب يشبه الصوف ، ومن الصوف ، ثم بين ما يقبل من حيث المعنى ويرد من جهة اللفظ .

[1] ابن خلدون :عبد الرحمن بن محمد ، صاحب المقدمة ، توفي سنة 808 هجرية،1406 ميلادية.

وقد مال الدكتور محمد مصطفى حلمي ككثيرين قبله من أكابر بحاث ذكرهم في كتابه إلى نسبتهم إلى الصوف . ورغبة منه في الاستقصاء ذكر رأي البيروني ورده ، وكان البيروني المتوفى سنة 444 هجرية الموافق ، 1048 ميلادية وهو من المتأخرين قد رأى أن الصوفية قد تكون مستعارة من اللغة اليونانية من لفظة : (سوفيا) ومعناها الحكمة وأشار أن عددا من الباحثين ذهبوا مذهب البيروني، فقالوا إن التصوف الإسلامي سواء في اسمه أو في منهجه وموضوعه إنما هو اثر من آثار الفلسفة اليونانية . حلمي 2011، ص 106.

هذا في الأصل اللغوي وسبب التسمية وكان قصدنا أن نبين منهجهم في التدليل وكون المسألة تقبل أدلة متنوعة ،إلا أنه قد يكون بعضها أقوى من بعض و بعضها أكثر منطقية من الأخريات ولم يخل رأي من الانتقاد والاعتراض .

المفهوم الاصطلاحي للصوفية

أما المفهوم الاصطلاحي للصوفية والتصوف فقد اختلفت كلمات الناس فيه ، نظرا لاختلافهم في تصور مفهومه و حقيقته .قال السهراوردي المتوفي سنة 632 الموافق 1234 ميلادية في كتابه عوارف المعارف : وأقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول. (السهروردي ص 40).

ورأى هو أن (التصوف غير الفقر ،والزهد غير الفقر ،والتصوف غير الزهد) قال : (وقد يكون المرء زاهدا وقد يكون فقيرا، لكنه لا يكون صوفيا، فالتصوف اسم جامع لمعاني الفقر ومعاني الزهد مع مزيد أوصاف وإضافات لايكون بدونها الرجل صوفيا)(السهروردي ص 38).

وهكذا يتضح أن السهروردي وهو من علماء القرن السابع الهجري يجعل التصوف درجة أو مرحلة، فهو في مرتبة أعلى من الزهد والفقر، وجعل التصوف يشملهما، فالتصوف عند هو حالة ومرتبة أعلى من حالة الزهد والفقر ، وهكذا يتضح بأنهما أي الفقر والزهد طريقان لبلوغ درجة التصوف ، وهما في الوقت نفسه درجتان سابقتان له وهذا معروف عند أهل الطريقة أعني تداخل الأداة أو المعاون ، والحالة أو المقام والدرجة . (والسهراوردي ، ص 38، حلمي ، ص

98). قال الشيخ أحمدُ زروق[1] المتوفى سنة 899 هجرية الموافق 1493 في قواعد التصوف له: (وقد حدّ التصوف ورُسم وفُسر بوجوه تبلغ نحو الألفين ، قال: (و مرجع كلها لصدق التوجه إلى الله تعالى ،وإنما هي وجوه فيه ،والله اعلم) (زروق ص 3)

ويجدر بنا أن نشير إلى أن التصوف كظاهرة، وأن كلمة التصوف كمصطلح كانتا قد تزودتا عبر تاريخ استخدامها بمعان جديدة، ساعدت عليها أخلاق المنتمين إلى الطريقة، وتأثرتا بالمذاهب والأفكار الفلسفية ومواقف الدارسين من الظاهرة إيجابا وسلبا .

ومن ينظر بدقة إلى التصوف كتاريخ أي : في الوعي الموضوعي، لابد أنه يلاحظ التغير والتطور في الوعي الصوفي وأن البدايات ليست كالنهايات، وإن اتفقت المنطلقات والغايات ، فإن المراحل اختلفت فمن مرحلة خلقية نفسية إلى أخرى ثورية، وهم و إن انشغلوا في المراحل الأولى بالتصوف العملي، وهو مرحلة التصوف الخلقي خاصة في القرنين الثاني والثالث الهجري. وينعكس صدى هذه المرحلة واضحا فيما دوّنه القشيري المتوفى سنة 465 في رسالته، وكذلك عند السلمي المتوفى سنة 412 هجرية في كتابه الطبقات. أما في في القرنين السادس والسابع الهجريين فإن التصوف دخل في مرحلة التصوف الفلسفي والنظري ومن أمثلتها: ابن عربي المتوفى سنة 638 الموافق 1240.

ومهما يكن ومهما قيل فيهما فإن ابن عربي قد ظل مرتبطا بخصائص التصوف الإسلامي، وظل متعلقا بذات النبي محمد عليه الصلاة والسلام . (عفيفي ، 1980 ص 319).

وقد ختم ابن عربي فصوصه بفص حكمة فردية قائلا، وهو يعني سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (إنما كانت حكمته فردية لأنه أكمل وجود في هذا النوع الإنساني ،ولهذا أُبدي به الأمر وختم فكان نبيا وآدم بين الماء والطين،ثم كان بنشأته العنصرية خاتم النبيين ،وأول الأفراد الثلاثة،وما زاد على هذه الأفراد الثلاثة فإنه عنها فكان عليه السلام أول دليل على ربه، فإنه أوتي مجامع الكلم التي هي مسميات أسماء آدم فأشبه الدليل في تثليثه ،والدليل دليل نفسه). ابن

[1] سيدي أحمد زُروق، من اهل فاس، وبها درس وتعلم، غلب عليه التصوف توفي في مصراته وبها دفن سنة 899 هجرية الموافق لسنة 1493 ميلادية.

عربي ،طباعة 1980 ، ص ، 319. وفي هذه الفترة غلب على المشتغلين بالتصوف الفلسفة وصار التصوف يشتمل على تحليلات نظرية خالصة وشطحات وإشارات ورموز لم تحتملها عقول كثيرين ممن يهمهم الظاهر ويقفون عنده، فوقفوا منهم موقفا معاديا.

وقد عرّف التصوف من المتصوفة أصحاب الذوق المنتمين إلى الطريقة كثيرون منهم الجنيد المتوفى سنة 297 هجرية فعرّفه بقوله : (هو أن تكون مع الله بلا علاقة وبأن يُميتك الحق عنك، ويُحييك به) كما يُعرّفه بأنه (ذِكْر مع اجتماع ، ووجد مع استماع، وتحمُّل مع اتباع)، وعرفه أيضا بقوله : (التصوف ترك الاختيار). السهروردي ،ص ، 39.

وقال سهل التستري المتوفى سنة 283 هجر ية : (التصوّف القيام مع الله تعالى بحيث لا يعلمه غيرالله)، وقيل: (أول التصوّف علم وأوسطه عمل وآخره موهبة من الله). (السهروردي،ص،39).

وقال الشبليّ المتوفى سنة 334 في التصوف :(هو حفظ حواسّك ومراعاة أنفاسك). وقيل: (بذل المجهود في طلب المقصود ،والأنس بالمعبود، وترك الاشتغال بالمفقود).

وقال رويم المتوفي سنة 330 : (إن التصوف مبني على ثلاثة خصال : التمسك بالفقر والافتقار، والتحقق بالبذل والإيثار ،وترك التعرض والاختيار) (شلق ص17).

وقال معروف الكرخيّ المتوفى سنة 200 هجرية : (التصوف الأخذ بالحقائق ، واليأس مما في أيدي الخلائق فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف) .

وقال مظفر القرمسيني : (الفقير الذي لا يكون له إلا إلى الله حاجة) (شلق ، ص،)18 .

وأما أبو محمد رويم البغدادي المتوفى سنة 330، فقد عَرَّف التصوف بأنه مبني على خصال هي: (التمسك بالنفر والافتقار، والتحقق بالبذل ،وترك الفرض والاختيار). وهو أيضًا عنده: (استرسال النفس مع الله على ما يريده) . الموسوعة العربية،ج1 ص 1

وبغية الزيادة في التوضيح أو التنويع عرف بعضهم الصوفي ليحددوا صفاته ، فقالوا فيه : بأنه (مَنْ صفا من الكدر، وتسلى عنه بالفكر، وانقطع إلى الله عن البشر، واستوى عنده الذهب والمدر) 1 .

ووصفه الجنيد بأنه : (كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح) القشيري ص، 150.

وقيل : (المتصوف هو الذي يجاهد لطلب هذه الدرجة). وقيل: (الصوفي هو الذي صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر وانقطع إلى الله من البشر، واستوى عنده الذهب والمدر، والحرير، والوبر) السهروردي ص 39 وقيل:(الصوفي هو الذي لا يملك ولا يملك أي:لا يسترقهم الطّمع). واعتمد ابن خلدون في مقدمته حين تناول موضوع التصوف على القشيري فنقل كلامه موافقا له. ابن خلدون. ص 281. ويتضح من هذا أن الظاهرة شغلت الناس، وأنهم راحوا يبحثون عن تعليل للتسمية بغية التأصيل للظاهرة ،وأن الأقوال لم تخل من نقد ولا اعتراض. وفي تناول ابن خلدون للظاهرة ،ذكر عناصر التصوف وشيئا من صفاتهم، ومقالاتهم وما ينسب لهم ومواقف الناس منهم ، فأشار إلى مؤيدين ومعارضين . ابن خلدون 280،ص 280 وما بعدها ،

وكان ابن خلدون المتوفي سنة (800 . 1406) قد سلّم لهم في بعض ما ادعوا من كرامات، قال: وإن مال بعض العلماء إلى إنكارها فليس ذلك من الحق ، ثم ذكر ما ردّوا به قول أبي إسحاق الإسفراييني المتوفى ينة 418 هجرية حين أنكر الكرامات لالتباسها بالمعجزة . بأن المعجزة مقرونة بالتحدي وليست كذلك الكرامة. لبن خلدون ، ص 287.

منابع الصوفية

اختلف الناس في منابع الصوفية ، وهذا الاختلاف كانت تدفعه عدة عوامل ويزيد من حدته نزاعات على السلطة الدينية والسياسية ، وفي الصفحات القادمة سنعرض لبعض الآراء نبين وجهة نظر أصحابها وبعضا من أدلتها ووجهة نظر من ردها :

[1] . المدر :الطين اللزج المتماسك وانظر عوارف المعارف ص 39.

1 . نظرية المصدر الإسلامي

يرى بعض الباحثين أن مصادر الحياة الروحية في الإسلام هم الصوفيون أنفسهم ، وقد رأى كثيرٌ منهم في تحنث الرسول وآدابه وفي النصوص الشرعية من قرآن وحديث وكذلك في حياة الصحابة والتابعين وأخلاقهم مصدراً لحياة روحية إسلامية. فكل ما اتفق عليه وعرف كمظهر من مظاهر التصوف من زهد، ونسك، وتعبد، وتوق إلى التحرر يجدون ما يدل عليه في المصادر السابقة. يروى أن الجنيد المتوفى سنة 297 قال : (مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة،وعلمنا هذا مشيد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) . القشيري ص 321

والصوفية أنفسهم يصرون على القول بأن مصدر التصوف إسلامي في أصله وتطوره سواء،ومصدره القرآن كنص وتلاوته كعمل ، فالتلاوة كانت تحدث بشكل جماعي، وبصوت عال وقد يدخل فيها شيئا من الذكر والدعاء ،وكل هذه لا شك أنها تعمل على إحياء التأمل .

والصوفية كما قدمنا طريقة قديمة معروفة، لها في كل وقت أربابها ومعتنقيها، لذا طاب للبعض أن يقول: إن التصوف دخيل على الإسلام ، وقد رد هذا القول عدد من الباحثين منهم ماسينيونان الفرنسي ونيكلسون الانجليزي قال:(إن إطلاق الحكم بأن التصوف دخيل في الإسلام غير مقبول) . (سر الأآسرار ص 44).

وماسينيون لا يمنع أن يكون التصوف الإسلامي خضع في تطوره لمؤثرات أجنبية وهو يرى أن ظهور ظاهرة التصوف كان مبكرا، فقد بدأ في حجر الإسلام ونما في أحضانه. (حسن الشافعي،2008، ص 74).

ويرى الدكتور علي شلق أن التصوف الإسلامي أصيل وقد تأثر بثقافات أخرى ، فالتصوف عنده نشأ كردة فعل على الحياة الاجتماعية والسياسية، يقول : (إن الزهد شجرة نمت في العصر الأموي ، كردة فعل وكموقف من السياسة ومن الترف ومن الرجوع إلى العصبية القبلية وطغيان الحاكم) قال : (فإذا بهذا التحدي الزاهد الذي استعلن بسعيد بن المسيّب شيخ التابعين وورع الحسن البصري، وعمرو بن عبيد ، وعمرو بن عبد العزيز يشكل قمة الزهد في هذه المرحلة) (شلق ص 8) . وبعد الحروب والاستقرار النسبي زمن الرشيد واستفحال حركة الترجمة مع المأمون

والفلسفة واللاهوتيات والفرق، ويجيء المعتصم بعسكره ومجنديه والمتوكل بترفه ومبانيه ،ليحل عصر الدويلات، فيكثر الطامعون حتى الشره بعرض الدنيا، ويكثر المتخلون عن كل بهرج،وزخرف وزائل،ويتحول الزهد إلى قضية كبرى في الحياة، تطلب تبريره فلجأ الزهد إلى المنطق والفلسفة ،وغرف من ينابيع هندية ويونانية ومسيحية وسواها فكان التصوف. (شلق ص 9)

قال الدكتور علي شلق: (التصوف في الإسلام بدأ من القرآن ،وحياة النبي وكلامه ،ثم توالت موجاته بالورع والتقوى والعزوف والزهد، هذا الزهد الذي قوي بعد العصرين الأموي بالعباسي في شعر أبي العتاهية وتسامى في شعر أبي نواس وتمثل في رجال منخوبين أئمة ومحدثين وقضاة وفقهاء وفلاسفة إلى أن استوى مفلسفا في قمة محي الدين بن عربي) . (شلق ص 9).

قال حسن حنفي في موسوعته المهمة من الفناء إلى البقاء:[1](يعتمد الصوفية على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كمصدر لتحليلاتهم مع تنميط معانيها في اتجاه خاص دون الاتجاه العام) حنفي 2009ص21 . وهذا يعني أن وجود الاتفاق ووجود الدليل لا يدل على أن مصدر الظاهرة إسلامي بحت.

ويرى بعض الباحثين أن التصوف لم ينشا نشأة داخلية من الكتاب والسنة ، وحجتهم أن الطريقة موجودة قبل الإسلام وعند أمم وشعوب أخرى. ولكن الصوفية أهل هذه الطريقة وجدوا في القرآن والأحاديث النبوية وأقوال للصحابة والتابعين نصوصا طوعوها لتخدم هدفهم فجعلوا منها مصدرا لتحليلاتهم. (جنفي 2009، ص 21).

2 . نظرية المصدر الهندي :

كان بعض الباحثين قد لاحظوا التشابه القائم بين بعض مظاهر التصوف العملية والنظرية في الإسلام ،وبين ما ورد في بعض الكتب الدينية الهندية من عقائد وأدعية وأناشيد ،وما يفعله فقراء الهنود وزهادهم من طرق في الرياضة والعبادة والتفكر والذكر والمعرفة فقالوا ببوجود

[1]الكتاب مطبوع متداول ، وهو موسوعة بما يحتوي من معلومات وأفكار يتكون من جزيئين، القراءة فيهما تبين أن صاحبه صاحب مشروع يهدف من خلاله إلى محاولة بناء علم التصوف ، وكان قد خصص الجزء الأول للوعي الموضوعي والجزء الثاني للوعي الذاتي . وهو من صادرات دار المدار الإسلامي 2009.

الأثر الهندي في التصوف الاسلامي. حلمي ص 39.، وكان البيروني أبو الريحان محمد بن أحمدعارفا باللغة السنسكريتية ،وعاش في الهند زمنا طويلا ، ووضع كتبا كثيرة أهمها (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) وكان قد قارن بين عقائد الهند وحكمتهم ، وبين أنظار اليونان ومذاهبهم الفلسفية من ناحية وبين أذواق الصوفية المسلمين وأقوالهم وطرقهم في الرياضة من ناحية أخرى . وكان قد ألمح في كتاباته إلى تشابه بين المذاهب الهندية في الرياضة والمجاهدة والعبادة والمعرفة ونظرياتها عند صوفية المسلمين .

وكان كثير من الباحثين اعتمدوا على كتاباتهم للقول بأن مصادر التصوف الإسلامي هي مصادر هندية، ومن هؤلاء من العلماء المستشرقين هورتن وبلوشية وماسينيون الفرنسي وجولد زهير وبراون وأوليري وغيرهم كثير حلمي ض 43. وهم تابعون في مقالتهم هذه للبيروني المتوفى سنة 440 هجرية ،1047.

وقد انتقد هذا الرأي بأن التشابه لا يعني التأثر ، وفكرة التأثير، ويرى الدكتور محمد مصطفى حلمي أنه يعوزها الدليل، وهذا التأثر لو كان حدث أو سلمنا به تماشيا مع من ادعى ، فهو تأثير متأخر يأتي بعد مرحلة التأسيس، هكذا رد البعض حين رأوا وظهر لهم أن التأثير سطحي أكثر من أن يكون جوهريا . (حلمي، ص 43).

3 . نظرية المصدر الفارسي :

يرى فريق آخر من الباحثين أن التصوف الإسلامي متأثر بالأديان والأنظار الفلسفية الفارسية،ويستدلون على ذلك بالعلاقات وبما يحدث به التاريخ من صلات اجتماعية وثقافية ودينية بين الفرس والعرب في مختلف العصور ،كما يستشهدون بأن كثيرا من المتصوفة المسلمين كانوا من أصول فارسية. ولكن هذه الفكرة لم تعدم من يعارضها ،ويشكك في وجود أدلة يركن إليها لتأييد الفكرة. ويرى البعض أن مصدر التصوف ليس فارسيا وأن التأثير لو وجد إنما وقع في فترات متأخرة وقعت بعد فترة التأسيس وفيها امتزجت الأفكار والعقائد وتشابهت المذاهب وتضافرت الجهود فكان أن ازدهر علم التصوف.

4 . نظرية المصدر النصراني

الجانب الروحي في الإنسان حاضر في كل وقت، إلا أن بعض الظروف قد تجعله يختفي،وأخرى قد تحفزه ليظهر. ومما تميزت به الديانة النصرانية أنها أولت الجانب الروحي اهتماما كبيرا حتى اشتهرت بكونها ديانة روحية ، لذلك ونظرا لتواجد الديانة في مناطق العرب، حاول بعض الباحثين يساعدهم في ذلك التشابه الكبير بين حياة الزهد في النصرانية والزهد عند المسلمين رد أصول الصوفية في الإسلام إلى مصادر نصرانية ، وهم يعتمدون على بعض الظواهر كالخلوة والرياضة والتعبد وكذلك التشابه بين حياة الزهاد ولباسهم ،والتشابه في التعاليم و النصوص المتشابهة اتفقت عند الطرفين. حلمي ص 53،

جولد زهير باحث كبير قسّم التصوف إلى مرحلتين: أولهما الزهد ،وثانيهما التصوف ورأى أن التصوف بمعناه الأول متأثر إلى حد بعيد بالرهبانية المسيحية .إلا أن من رفض هذه الفكرة قال : إن وجود التشابه، ليس دليلا قطعيا على أن مصدر الحياة الروحية في الإسلام مصدر نصراني.

5 . نظرية المصدر اليوناني

ويرى بعض الدارسين للحالة الروحية والصوفية للعباد المسلمين أنها ذات مصدر يوناني. قالوا هذا وتبنوه بعد أن لاحظوا تأثر المسلمين بالحضارات الدينية والعقلية اليونانية عامة وبالأفلاطونية الجديدة[1] على وجه الخصوص . ومعلوم أن الحضارة الإسلامية انفتحت على الثقافات الأخرى، تنهل من معينها وتتبنى إنجازاتها الفكرية والعقلية ، وقد وقف العرب على الثقافة اليونانية عن طريق النصارى: مثل النسطورية التي انتشرت في الحيرة واليعقوبية التي انتشرت في غسان ، وبلاد الشام وكان هؤلاء المتدينون من الفئتين يحملون معهم طرفا من الثقافة اليونانية ، يدافعون بها عن معتقداتهم ضد الوثنيين . ولما كانوا أهل دين لم تكن الفلسفة التي يستخدمونها عقلية محضة بل كانت مزيجا من النظر العقلي والإلهام الروحي ، وهو مزيج اصطلح على تسميته بالأفلاطونية

[1]الافلاطونية الجديدة : كانت من أهم المذاهب الفلسفية تأثيرا في الفكر الإسلامي ، وهي فلسفة توحيدية فيها الآول ليس موضوعا للمعرفة . وهي كمذهب فلسفي بدأ على يدي الفيلسوف أفلوطين ولد سنة 203ميلادية ويعتبر امتدادا لما نظره أفلاطون وفلسفة أفلوطين تدور حول مشكلتين رئيسيتين : مشكلة دينية ،تعنى بمصير النفس ،وطريقى إعادتها إلى طهارتها الأولى ،ومشكلة فلسفية ،هي مشكلة تركيب الكون وتفسيره تفسيرا عقليا .ص 72.

الجديدة .وهي مذهب فكري فلسفي يرى أن الحقيقة العليا لا تدرك بالفكر وحده وإنما تدرك بالمشاهدة في حالة الغيبة عن النفس من ناحية وعن العالم المحسوس من ناحية أخرى .

قال محمد مصطفي حلمي في كتابه الحياة الروحية : (وهذا بعينه ما ذهب إليه الصوفية من أن المعرفة الحقيقة لا تحصل عن طريق الحس أو العقل ، وإنما تحصل بالذوق والوجدان ،وهي تحصل بنور يقذفه الله في قلب العبد بعد أن يكون قد خلص من شوائب نفسه ،وفني عما سوى ربه واستغرق في الذات الإلهية استغراقا تزول معه التفرقة ،ويحصل فيه الاتحاد والجمع . وهذا المذهب الأفلاطوني تسرب بشكل واضح خاصة في الفترات المتأخرة إلى المذاهب الصوفية المصطبغة بصبغة فلسفية) 1 .

ومن يطالع كتب المتصوفة المتأخرين يجد أثر الأفلاطونية الجديدة واضحا في المفاهيم والأفكار ،ولكن هذا التأثر لم يكن زمن النشأة ، بل هو تأثر تأخر وقته ، وظهر عندما أخذ التصوف شكلا علميا نظريا ،ويؤيد هذا أن المتصوفة الأوائل لم يتح لهم الاطلاع على هذه الفلسفات التي جاءت به الترجمة والاختلاط الواسع بالحضارات والثقافات الأخرى . والتصوف في أول عهده كانت تغلب عليه الصبغة الإسلامية من تقشف وزهد وإيثار .

وهكذا يظهر لنا أن التصوف في نسخته الإسلامية وإن وجد نصوصا وأفكارا وتصرفات قد تعد مصدرا له إلا أنه تأثر بعدة مدارس ومذاهب فلسفية وتطور متأثرا بحركة العلم والثقافة وقد وجد فيه الباحثون آثاراً مما عند الآخرين من عقائد وأفكار ، عدّها البعض علامة على التأثر ورأها البعض توافق إنساني وتطور طبيعي أو أثر بعد النشوء ، قال نيكلسون وهو يتكلم عن تأثر التصوف الإسلامي بالثقافات والفلسفات الأخرى :

[1] ابن عربي في وحدته الوجودية وفي نظريته في الحقيقة المحمدية التي يعدها أول فيض من الذات الإلهية ويعد بقية الموجودات مجرد فيوضات لها وعند عمر بن الفارض في وحدته الشهودية وفي مذهبه في القطبية وهي عنده عبارة عن الحقيقة المحمدية التي كانت أولَ تعين فاضت منه وصدرت عنه التعيُنات الأخرى من روحية ومادية ،وعند الشهاب السهروردي الحلبي المقتول في حكمته الاشراقية التي يجعل فيها من الله نورا للأنوار فياضا بالأنوار القاهرة وهي النفوس والعقول وبالجواهر الغاسقة وهي الأجسام . الحياة الروحية في الإسلام ص 70

(إن التصوف (التيوزوفي)(Mysticism) بنوع خاص أثر من أثار النظر اليوناني. وإذا لم يكن في استطاعتنا فيما يتعلق بالظروف التاريخية أن نرد أصل التصوف إلى الهند أو الفرس،إلا أنه لا مناص من الاعتراف بما في التصوف من امتزاج الفكر اليوناني والدين الشرقي ولا سيما الأفلاطونية الجديدة والنصرانية والغنوصية) 1.

والحق إن الأثر اليوناني كالآثار الأخرى يظهر واضحا في الفترات الأخيرة أعني بعد حركة الترجمة وبعد الانفتاح الكبير على الثقافات الأخرى .

قال حسن حنفي في موسوعته من الفناء إلى البقاء وهو يحاول إثبات عالمية ظاهرة التصوف، وقدمها، وإنها إنسانية لا ترتبط بمكان ولا زمان ولا ترتبط بدين ولا بفلسفة وكأنها حالة إنسانية وردة فعل تختلف الظروف الدافعة إليها كما تختلف أشكالها فقال:(حنفي، 2009 ج 1 ص 28)

لم ينشأ التصوف من مصدر فارسي أو هندي شرقا أو يوناني أو مسيحي غربا، نظرا لعيوب منهج الأثر والتأثر، فالثنائيات الفارسية طبيعة بشرية توجد في كل حضارة في الأخلاق والتصوف وإذا كان بعض الصوفية من أصل مجوسي فإن غيرهم ليسوا كذلك في مصر والشام والمغرب.

ولا من الفقر الهندي، فالطرق الصوفية ظاهرة اجتماعية في مجتمعات الفقر والوفرة على حد سواء، والحلول والاتحاد أيضا في كل حضارة مستقلة عن الأخرى والاتحاد ولا يعني أن بعض الصوفية من أصول هندية أن التصوف هندي ولا يعني انتشاره في خرسان وتركستان أنه آسيوي، ودراسة البيروني عن الهند دراسة علمية تاريخية حضارية لا تعني تأثر التصوف الإسلامي بالهند ، وإبراهيم بن أدهم هذا الأمير الذي تحول إلى صوفي في كل حضارة ليس متأثرا بحياة بوذا ،والفناء الصوفي حالة نفسية لا أثر فيها للنرفانا ورسالة ابن سبعين ((الرسالة النورية)) التي بها ما يشبه الأذكار الهندية متأخرة للغاية . (حلمي ص 74).

[1]. الغنوصية حركة فلسفية ظهرت في أوروبا والشرق الأوسط، وازدهرت بين القرنين الثاني والثامن الميلاديين، حيث تكونت لها فرق من النصارى وغيرهم، ممن كانوا يعتقدون معرفة أسرار الطبيعة والكون، وأصل البشرية والقضاء والقدر واعتقد أتباعها أن باستطاعة الناس إنقاذ أنفسهم من الإثم بالوصول إلى المعرفة الروحية، كما اعتقد معظمهم بوجود كائن علوي بعيد غير معروف .

ثم أضاف حسن حنفي وهو يدافع عن فكرته ويحاجج دونها ، فقال: وما أبعد المغرب عن المشرق، والنحل الصوفية مثل نحلة اورفيوس وفيثاغورس موجودة في كل حضارة واعرف نفسك بنفسك[1] لدى كل حكماء الشرق والغرب مع تغيير اتجاهها إلى أعلى مثل : (من عرف نفسه فقد عرف ربه) ثم زاد قائلا أن التصوف الفلسفي وهو نهاية التصوف متأخر عن التصوف الأخلاقي والتصوف المسيحي يتبع طبيعة النفس البشرية والظروف النفسية والاجتماعية والسياسية للجماعة المسيحية ،مثل التصوف الإسلامي تماما دون أثر أو تأثر.وكان للعرب قبل الإسلام صلات مع كل الديانات والطوائف وليس فقط مع النصارى والزهد في كل حضارة . وحين أراد أن يثبت أن التصوف ظاهرة إنسانية لها ظروفها الخاصة التي تنشأ فيها والعوامل التي تساعد على ظهورها قال: وقد ينجح المستشرق في التعرف على العوامل المادية للظاهرة ولكنه لا يعرف المحمول أي دلالة الظاهرة وما تمثله من قصد حضاري.(جنفي 2009 ،ج1 ص 29.)

اعتقادات الصوفية المسلمين: الصوفية فرقة مؤمنة،موحدون وهم يؤمنون أيضا بالكرامات التي اختص الله تعالى بها الأولياء، وهي الأمور الخارقة للعادة التي تظهر على يد الشيوخ الذين علت درجاتهم وصاروا من أولياء الله سبحانه.

وهم ينظرون إلى العلاقة مع الخالق نظرة خاصة ، فبعض المعاصي عندهم إذا منعت الغرور كانت خيرًا من الطاعة إذا أوجدت الغرور. ذلك أن الغرور يبعد النفس عن الفناء في ذات الله تعالى. ويقولون : رب معصية أورثت ذلا وطاعة أوردت استكباراً السكندري 1408.

ويرون أن محبة الله هي رأس الأمر وعموده وأن السيئات معها تهون فلا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار ألالوسي ،ج4 ،ص 241. ونقرأ في شرح الحكم : (فالإحسان لا ينفع مع البغض منك والإساءة لا تضر مع الحب منك). الشرنوبي

كما أنهم متسامحون مع أصحاب الديانات الأخرى، فهم لا يعادون أصحاب الديانات الأخرى مهما اختلفت ولا يحرضون على معادلتهم ولا قتلهم ، ويرون أن الأديان تقود إلى هدف واحد وحقيقة واحدة وإن اختلفت الأسماء وتعددت الوسائط ،ويرى البعض أن هذا مؤدي وحدة

[1] مقولة تنسب للفيلسوف سقراط وتعني أنه من الممكن أنن يتعرف الإنسان على الحقيقة بنفسه ومن خلالها .

الوجود ، قالوا : وهو يؤدي إلى القول والاعتقاد بذوبان الفوارق بين الخالق والمخلوق ، ولا يترك فرقا بين دين ودين . الموسوعة العربية ،ج،1 ص 1 . نسخة المكتبة الشاملة.

وهذا في تصور البعض من المسلمين خروج عن توحيد الله الذي نزل في كتابه وأرسل به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للأنبياء. الموسوعة العربية ج1 ص 1. نسخة المكتبة الشاملة

وأقول: إن هذه الفكرة تناسب سياسات الأمم، والدول الغربية المتقدمة ذات الأعراق والأديان المختلفة والتي حيّدت الدين عن مجال السياسة ورفعت من سقف الحريات الشخصية، لما رأوا أنه أي الدين قد يقسم الناس بشكل عمودي فيجعلهم فرقا وطوائف، ورأو أن هذا الصنيه يسهل عملهم وسيطرتهم ، لأن فكرتهم تحاول أن توحد الناس وتبعد عنهم شر الاقتتال وتمنح هامشا من الحرية يساعد على التعايش السلمي وعلى ممارسة العبادة دون إكراه ودون تمييز، لذلك كثرت في هذه الأيام وكردة فعل على التطرف الدعوة إلى منهج الصوفية لأنهم يرونه فيه الخلاص من الحروب الدينية والطائفية التي تجتاح الأمم في كل مكان .

وعبر التاريخ برز متصوفة كبار ظلت كلماتهم تتوارث ،وعباراتهم تردد ، نظرا لما فيها من فائدة وما تحتوي عليه من توجيه وكانوا على الدوام يعكسون صورة للمثاليات ، وعنوانا كريما للإنسانية في كل أفق من آفاقها .كان الشعراني المتوفي سنة 973 هجرية يرى أن الإنسان لا يكون إنسانا إلا إذا شارك الناس في كافة أحزانهم وآلامهم لأن الإنسانية وحدة متماسكة خيرها مشترك وعذابها مشترك . يقول الشعراني رحمه الله : (من ضحك أو استمتع بزوجه ، أو لبس مبخّرا ،أو ذهب إلى مواضع المتنزهات أيام نزول البلاء على المسلمين فهو والبهائم سواء .)

عبارات الصوفيين خاصة وطريقتهم في استخدام اللغة متميزة ، فنصوصهم مكثفة وعباراتهم تنفتح على أكثر من معنى وتحتمل أكثر من دلالة . وكان بعضهم تأثر بالفلسفة وعبرعن ذلك بتعابير أنكرها عليهم كثير من خصومهم وقالوا: إنهم يقولون بالفيض وبوحدة الوجود وغيرها من المعتقدات التي أنكرها عليهم اتباع العقل من المعتزلة كما أنكرها الظاهريون من الفقهاء أصحاب الشريعة .

كيف تكوّن التصوف علما ؟

يقال إن الحمامة تظن أنها لولا الهواء لطارت بسرعة أكبر، قالوا وما تدري المسكينة أنها لولا الهواء لما طارت. فلا شك في أن وجود معارضين لطريقة الصوفية ومنهجهم، وكونه في نظر البعض دخيلا،كان سببا في خلق وتكوين منهج نظري تستند إليه أعمالهم ويشهد لطريقتهم يستريح لها الأتباع وتدعم موقفهم أمام المعارضين ،ولذلك لا يستغرب المؤرخون والدارسون من ظهور تصوّف نظري في أواخر القرن الثاني الهجري، وعبر التاريخ صار للتصوف رجاله وطرقه ووسائلهم ومريديهم وموضوعاتهم مثل المقامات والأحوال ، ومدارسهم ونظرياتهم ومصطلحاتهم .لقد نشأ التصوف كمنهج ذوقي في الإسلام كردة فعل على العلوم العقلية التي جعلت العقل أساس النقل، وهو يعتمد على الكشف والحدس والرؤية المباشرة. ولا يكتفي بعلم اليقين عند المتكلمين ولا بعين اليقين عند الفلاسفة بل يذهب إلى حق اليقين. حنفي ج2009،ج1 ص31.

وتتالت إسهامات المتصوفة فألفوا الكتب ،ووضعوا الرسائل التي رسمت الطريق ووضعت العلامات،وبيّنت الأحوال والمقامات ،وعرفوا الزهد ،ودرسوا ما تفرع منه فدرسوا موضوعات التصوف الأخرى مثل الصمت، والفكر كعلامات الطريق،والغنى والشكر والفقر من الفضائل والمقامات،وعرفوا طريقة دفع الوسواس بالرياضات والمجاهدات .

ولاحظ الدارسون أن التصوف في صبغته الإسلامية مرّ بمراحل، فهو أخلاقي ،ثم نفسي في بعض مراحله،كان متأثرا بالفلسفة حينا، وأن التنظير فيه كان معاصرا لدخول المسلمين ميدان الفلسفة،ولكن طريقتهم في التناول اختلفت عن الفلاسفة الذين تناولوا الفلسفة على أساس المنطق العقلي ، فتناولوها على أساس عملي قائم على الفلسفة الروحية. (الشيبي ،1997،ص 102،103).

وهكذا كانت لهم طريقتهم ومنهجهم وشروطهم ، فكانوا وهم يقاومون يتخيرون المريدين ، وأنكر عليهم بعض الناس وانتقدوا منهجهم وقتلوا بعضهم : فقتل الحلاج بسبب منهجه العلمي وشطحاته ، وكذلك ذو النون المصري . ويجدر بنا أن نشير أنه لما دخل القرن الخامس كان

الصوفيون قد وصفوا بأنهم فلاسفة ، ولما دخل القرن السادس اقترن التصوف بالتفلسف وذلك على يد السهروردي المقتول سنة 632 هـ 1234 ميلادية ، وجاء ابن عربي المتوفى سنة 638 وفصل رؤيته الفلسفية في كتابيه فصوص الحكم والفتوحات المكية فنادى بفكرة وحدة الوجود وكان صوفيا متفلسفا وكذلك ابن سبعين المتوفى سنة 669 . فلم يزل التصوف يقاوم ويبني نفسه. ورأوا كذلك أن التصوف منهجا وطريقا متبعا، يلائم بعض الناس ، لذلك قال عبد العليم محمود في كتابه المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي : (ولأجل أن يسير الإنسان في طريق التصوف لابد له من استعداد فطري خاص ، لا يغني عنه اجتهاد أو كسب) ، وهو قول سبقه إليه الإمام الرازي في كتابه الإشارات فاشترط لتكون الرياضة نافعة أن تكون نفس المريد مستعدة للنهج. عبد العليم محمود،ص339.

ولذلك لا نعدم من سير في الطريق، طريق التصوف غير أبه بمن يشنع عليهم ويتهمهم ، أو من يصرح بأنه لا يفهم مصطلحاتهم ولا يصل إلى مرادهم .

وقد نشب بينهم وبين الفقهاء أنصار الشريعة نوع من الخصام وعدم الانسجام ، يدفع ذلك حب السيطرة الدينية والسياسية ولكن لانعدم من الفقهاء من يحترم الصوفية ومنهجهم ولا نعدم من الصوفية من يجل الفقهاء ويدعو إلى الالتزام بظاهر الشريعة فقد روي عن الإمام مالك أنه كان يقول : (من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسّق ،ومن جمع بينهما فقد تحقق). (زُروق ص 4).

وكان أغلب أهل التصوف يدعون إلى الالتزام بالشرع، قال زُروق في قواعد التصوف له فلا تصوف إلا بفقه إذ لا تعرف أحكام الله الظاهرة إلا منه ولا فقهه إلا بتصوف ، إذ لا عمل إلا بصدق وتوجه. وقد كان لبعضهم مذاهب في اصطلاحاتهم ولهم شطحات وحالات جعلت منهم هدفا وغرضا فاتهموهم بالكفر . (زروق،ص4).

وهكذا فرضوا أنفسهم وحققوا هامشا لهم ليه وضحوا أن الصوفية تختلف وأنها أنواع، ولها عدة مشارب ، وأنها ما انفكت تؤثر وتتأثر،فقد عرفوا البدايات ، وحددوا شروطا للمريد،

ووجبات يقوم بها فكان لهم منهج منهجا رسموه وجعلوا بعضا منه موهبة وبعضه مكتسبا وبعضا منه ممنوحا كما حددوا الوسائل التي توصل للمراد محمد كامل ،1970، ص100،101.

ونظرة خاطفة على وسائلهم توضح أنها متعددة ومتداخلة ، وذات درجات فالزهد مثلا عندهم وسيلة ومقام، وله عندهم أقسام ، فمنه زهد المبتدئين ، وزهد المتوسطين، وزهد الكُمّل أو الواصلين ، وقد عرفوا المقامات ، والمقامات عند سراج الدين الطوسي مثلا هي : التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والرضا والتوكل ، والأحوال المراقبة والمحبة والخوف والرجاء والشوق والأنس والطمأنينة والمشاهدة واليقين. شلق ،ص 39.

والسهروردي المتوفى سنة 632 هـ 1234 ميلادية يعترف بأن الزهد والعزلة من بين الوسائل المهمة لتحصيل المعرفة وإنها كم مشترك بين الفلاسفة والصوفية . شلق 105 فنلاحظ هنا أن الصوفي قد يخلط بين المنهج أو المعاون الأداة والمقام أي المرحلة .

خصائص التصوف

التصوف ظاهرة عالمية، لا تكاد تخلو منها ثقافة من الثقافات ،وهو طريقة روحية، وظاهرة اجتماعية معروفة عند بعض الشعوب ذات الحضارات القديمة . وهو نزعة سلوكية ،وليست فرقة سياسية أو مذهبية، وهو تأمّل ،لا يخترعه الناس بل يختارونه، وقد كان الأنبياء زهادا متعبدين،وكان كُهّان الوثنية في الهند والصين وفارس وبابل ومصر وأثينا زهادا على الأغلب.(شلق ص 13)

ولكنّا لا نجانب الصواب إذا قلنا : إن لكل أمة خصوصيتها، فالتصوف بشكل عام له خصوصيات وفي الإسلام أيضا له خصوصياته ، ومن الأشياء العامة في هذه الظاهرة أنه أي التصوف عمل إيجابي ،عملي ينبعث من الداخل، تقوم به الذات الإنسانية عن وعي واقتناع تَامَين، وتشترك فيه كل القوى والملكات الإنسانية، الحسية منها وسيلة وكذلك قوة الحدس والعقل،وهدفه روحي، وهو ظاهرة منزهة تماما عن كل غرض دنيوي وعن كل علاقة بالمادة فالصوفية زهاد عصورهم .

والواحد بالنسبة للصوفي هو مركز الوجود وحقيقته ، وهو موضوع للحب وليس موضوعا للشك أو البحث، وهو ليس وجهة نظر أو فلسفة فحسب ، وهو لا يشبه البحث عن الأمور الواقعية،وليس مجرد سعي للخلود الذي يتطلع إليه الإنسان ،وليس هَوسًا دينيًا،إنه اسم لتلك العملية التي تتضمن المحبة الكاملة .

وكل تصوف لابد له من قيم أخلاقية معروفة ، يلتزمها الصوفي ليهذب نفسه ، وليصل إلى هدفه الذي يصل إليه بعد مجاهدة ورياضة ، وهدفه هو قمع الشهوات وتنظيمها . وللصوفيين طريق ذوقي هو العرفان يتميزون به وهو ليس لغيرهم، فتجربهم خاصة وطريقتهم شخصية، ولغتهم خاصة فعباراتهم مكثفة، وأساليبهم رمزية،ومعانيهم عميقة وكلامهم حمّال أوجه.

هذه بعض من خصائص التصوف العامة أم الخاصة بالمسلمين فأولها على مستوى العقيدة الارتباط بعقيدة التوحيد مبدأ ونهاية، وهي حجر الأساس عند كل المسلمين وهو عقيدة الإسلام الكبرى، وهي عقيدة تؤكد جانب التنزيه على جانب التشبيه : (ليس كمثله شيء) ويتم ذلك عن طريق الوجد الصوفي لا المباحث العقلية المنطقية وحدها. ومن الجائز عند الصوفية من المسلمين أن يكون الصوفي على أي مذهب من المذاهب؛ شيعيًا أو معتزليًا أو سنيًا[1]، ويجمعهم التوحيد الذي أشرنا إليه وحب النبي محمد صلى الله عليه وسلم فالتصوف الإسلامي بكل اتجاهاته زاخر بهذا الحب، وجعلوا للتعلق بالذات المحمدية شأنا مهما وعلامة بارزة في طريقتهم وبهذا التعلق الخاص بذات الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، خالفوا أصحاب علم الكلام والفقهاء حين جعلوا مع حبهم لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم همهم تراث النبي صلى الله عليه وسلم وشرعه في المقام الأول .

ويرى الد ارسون أن للاستعداد الشخصي للأفراد أهمية قصوى في استقبال الطريقة والشعور بأهمية منهج هذه الطريقة ، وهم على اختلافهم يتصورون طريقا ومنهجا للسلوك إلى الله ، له

[1]- الكتاب : الموسوعة العربية العالمية ، أول وأضخم عمل من نوعه وحجمه ومنهجه في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية. ،عمل موسوعي ضخم اعتمد في بعض أجزائه على النسخة الدولية من دائرة المعارف العالمية World Book International ، شارك في إنجازه أكثر من ألف عالم، ومؤلف، ومترجم، ومحرر، ومراجع علمي ولغوي، ومخرج فني، ومستشار، ومؤسسة من جميع البلاد العربية. ج1 ص 1.

بداية وله مراحل وله غاية وله وسائله التي يستعين ويتوسل بها إلى بلوغ المرام. وبعضهم صرح قائلا : ليس التصوف ثقافة كسبية تتأثر بهذا الاتجاه أو ذاك وإنما هو ذوق ومشاهدة يصل الإنسان إليها عن طريق الخلوة والرياضة والمجاهدة والاشتياق بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب بذكر الله تعالى، كما ركزوا فيها على استعداد فطري خاص تحييه المجاهدة والرياضة . (الجيلاني ص 110)

قال الشيخ أحمد زُروق في كتابه قواعد التصوف وقد ثبت أن دقائق علوم التصوف منح إلهية،ومواهب اختصاصية ، لا تنال بمعتاد الطلب. (زروق ، ص 13).

والصوفية كطريقة في الإسلام و نهج له أسس ينطلق منها وأهداف ينبغي تحقيقها ، تكوّن في نظر بعض الدارسين وهو يدافع عن نفسه من هجوم الفقهاء الظاهرين وأصحاب العقل من علماء الكلام كما كان التأسيس ضد محدودي المعرفة والتجربة والعلم. (الجيلاني، ص 47)

والحق أن التصوف وإن وجد أصولا له في أقوال النبيّ والقرآن وفي عمل أصحاب الرسول والتابعين فقد تأثر باتجاهات كثيرة وبفلسفات متعددة وصار مذاهب كثيرة واتجاهات مختلفة وتصورات اتخذها لا يبعد من يصف بعض اتجاهاتها بأنها غريبة عن الإسلام ومناهجه.
لذلك كانت الصوفية هدفا لانتقاد كثيرين ممن لهم سلطات دينية أو أدبية نافذة. وقد كانت الانتقادت وفي كثير من أوقاتها لاذعة قد تصل إلى اللمز والغمز والرمي بالتكفير والاتهام به. (حنفي 2009، ج1 ، ص)

ومما تجدر الإشارة إليه ويجب الانتباه له، هو معرفة أن التصوف ذو طبائع متعددة ووجوه مختلفة، فإن كان البعض يجد منابعه في أدبيات الإسلام من نصوص وأعمال فإن البعض يجعله تصوفا فلسفيا ويجعل مصدره ديانات وفلسفات أخرى كالفلسفة المثالية الأفلاطونية ، والديانات الفارسية والهندية والمسيحية .

ويرى أصحاب هذه الفكرة أن التصوف بدأ التأثر بالفكر الدخيل في نهاية القرن الثاني الهجري ، ففي هذا الفترة حسب رأيهم عرف المسلمون عن الحركات الروحية في الهند وفارس، كما عرفوا واطلعوا على فكرة الرهبنة في الديانة المسيحية ، ويرون أن كل هذه التيارات الفكرية

كانت معروفة في العراق، وقد كانت هذه المدارس تلاقت مع فكرة الغنوص[1] ،فأحدثت بامتزاجها مع تعاليم الإسلام حركة قوية تبغي إحلال الجديد محل القديم والدخيل مكان الأصيل،وهكذا تأثر التصوف بأفكار أخرى وتيارات مختلفة نادى بعض منها بوحدة الوجود والاتحاد والحلول .(شعبان عبد الحكيم 2016 ص 37)

من خصائص التصوف الإسلامي أنه تأثر في بعض أنواعه بالفلسفة فنادى بعض المتصوفة العرب بوحدة الوجود وقد استقوها من الفلسفة اليونانية ،وكان بعض من فلاسفتهم لا يفرقون بين الله والعالم ،ويرون أن الوجود كله هو الله وقد قال بهذا الرأي من المتصوفة العرب ابن عربي وابن الفارض وعبد الحق ابن سبعين وعبد الكريم الجيلي

ولم يكن موقف الناس منهم واحدا فمن الناس من تساهل معهم وتسامح ، فأوّل أقوالهم ومن الناس من رماهم بالزندقة والتكفير . كما تأثر التصوف الإسلامي في بعض طرقه بما يعرف بالعرفان أو الغنوصية في صورتها الشرقية متمثلة في ديانات الفارسية (زارادتشية ، ومانوية) أو الغنوصية الغربية المتمثلة في الأفلاطونية المحدثة .

والغنوصية أخذت معنى اصطلاحيا ومعناه الوصول بنوع من الكشف إلى المعارف العليا وتذوق تلك المعارف تذوقا مباشرا بأن تلقى في النفس إلقاء فلا تستند على استدلال عقلي أو برهان عملي، ومن عقائدهم أن الإنسان يمكن له أن يبلغ المعرفة التامة عن طريق التذوق ، فيحل المشكلات جميعا ويفهم كل شيء بعد بلوغه مرتبة الكشف بالذوق ،ويرون أن الروح يمكن لها أن تلحق ببارئها بعد مفارقة البدن،وتستطيع الاتصال بالحق في هذه الحياة الدنيا بواسطة الوجد، وهم في هذا التيار الغنوصي يرون أن الإلهام والكشف والوحي هي الطريقة الوحيدة المؤيدة لبلوغ درجة الكمال والمعرفة التامة وممن أثروا بهذا التيار الغنوصي، الحلاج والسهراوردي المقتول . (شعبان عبد الحكيم 2016 ص 37)

ومما يجدر بنا ذكره والإشارة إليه أن بعض الصوفيين مارسوا الإقصاء، فسخروا من علماء الشريعة المهتمين بالأحكام وظاهر النصوص، ومن المتكلمين، ومن الفلاسفة، وربما كفروهم،وكان

[1] سيأتي تعريف الغنوصية لاحقا.

بعضهم قد غالى فتجاوز كل محرم فأباحه،وتحرر من كل موقف مسئول أخلاقيا وشرعيا شلق ص21 وكان لكل هذه المواقف ردّات فعل متفاوتة قوة وضعفا. لذلك لا نعجب إن وجدنا موقفا ناقدا لبعض الصوفية ومناهجهم.

الخـــــــاتمـــــــــــــة

وهكذا يظهر لنا كما ظهر لبعض الدارسين من قبلنا ، أن التصوف مرّ بمراحل تطور فيها وتأثر عبر مسيرته بأفكار وثقافات مختلفة. وقد ظل أصحاب الاتجاه الصوفي يدافعون عن طريقتهم من منتقديها ،فحاولوا وضع المبادئ و سن الأسس وتوضيح المصادر التي استسقى التصوف منها تعاليمه، و التغيير كان دائما يطول مناهجهم ،واصطلاحاتهم ، فقد صرح دارسون للصوفية بأن تغييرا لاح على اصطلاحاتهم و منهجهم في القرن الثالث الهجري، فظهرت عندهم اصطلاحات لم تكن معروفة من قبل ، فتكلموا عن : الأخلاق، والسلوك، وكانوا يحاولون تحديد طريق إلى الله، طريق يرتقي فيه الفقير السالك عبر مقامات كما تكلموا عن المعرفة ومناهجها ووضعوا القواعد النظرية ، وحددوا رسوما عملية معينة لطريقهم . قال عبد الحكيم حسّان في دراسته للتصوف في الشعر الإسلامي : (إن التصوف الذي ظهر في أواخر القرن الهجري الثاني وأوائل الثالث ،شهد حركة قوية نشطة أنتجت كثيرا من الآراء والمذاهب).(حسّان ص 233)

ويرى بعض المهتمين بالطريقة كظاهرة والتأريخ لها : أن القرن الثالث كان بداية تكوّن علم التصوف بمعناه الدقيق واستمر في تطوره حتى اعتبر تصوف القرنين الثالث والرابع هو تصوف إسلامي ناضج اكتملت له كل مقوماته فمثل حسب رأي الدارسين العصر الذهبي للتصوف الإسلامي في أرقى وأصفى مراتبه .

والحق أن مطالعة في كتبهم ، ومراجعة لأقوالهم تبيّن أنهم اهتموا بالجانب التربوي ، جانب له علاقة بمجاهدة النفس ومحاسبتها قالوا: ولولا التصوف لكان الإسلام كما فهمه المتزمتون من الفقهاء والمتكلمين والفلاسفة دينا خاليا من الروحانية العميقة ولكانت معتقداته مجموعة من التجريديات أقل ما يقال عنها إنها تباعد بين العبد وربه بدلا من أن تقربه إليه، وتورث صاحبها الشك والحيرة والقلق بدلا من الطمأنينة واليقين.

وفي الحلقة الثانية من هذا البحث سوف نوضح منهج التربية عند الصوفي،الهدف لمنشود منها والادوات المستخدمة فيها . والله أسال التوفيق والسداد .

المصادر والمراجع

أبو العلا عفيفي ، فصوص الحكم والتعليقات عليها، دار الكتاب العربي الطبعة الثانية 1980

حسن حنفي ، من الفناء إلى البقاء، محاولة لإعادة بناء علم التصوف ،دار المدار الإسلامي، ط أولى 2009.

حسن محمود عبد اللطيف الشافعي، فصول في التصوف ، دار البصائر، ط أولى 2008.

شعبان عبد الحكيم محمد، التصوف الإسلامي مدارسه، رموزه، أدبه ، مؤسسة الوراق الأردن ط أولى سنة ، 2016

عبد العليم محمود، المدرسة الشاذلية الحديثة، وأمامها أبو الحسن الشاذلي، دار الكتب الحديقة، القاهرة ، بدون تأريخ.

عبد الرحمن بن الأحمد بن محمد نور الدين الحاتمي، شرح فصوص الحكم، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 2009

عبد الرزاق القشاني، شرح على فصوص الحكم، الطبعة الثانية 1966،.

عبد القادر الجيلاني ، سر الأسرار ومُظهر الأنوار، مكتبة الثقافة الدينية، ط أولى 2008.

عبد الوهاب الشعراني، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفيّة ،مكتبة المعارف بيروت، ط أولى 2003.

على شلق ، العقل الصوفي في الإسلام،دار المدى ، الطبعة الأولى 1985.

محمد بن الحسين السلمي ، المقدمة في التصوف، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2005.

محمد غازي عرابي ،النصوص في مصطلحات التصوف، دار قتيبة،ط اولى 1985.